اليهودية

يرجع أصل اليهود الى الجنس السامى نشأوا بكلدة فى الصحراء فكانوا يعيشون عيشة البدو، يكونون قبائل يتزعمها أكبرهم سنا وارجحهم عقلا ، ويبتدى تاريخ اليهود كما يقول علماء التوراة منذ ولادة ابراهيم «٢٠٠٠ ق. م» وكانت مدينة أور مسقط رأسه وهى كائنة بسومر، وهو الاسم الذى كان يطلق على جزء كبير من الاراضى البابلية

رحل ابراهيم متزعما الاسرائليين الى فلسطين وكان يقطنها حينذاك الكنعانيون ، وهناك اضطر الاسرائيليون الى نبذ العيشة البدوية واحتاجوا الى تغيير نظامهم الاجتماعى الذى نما فى الصحراء حتى يصلح لهم فى بيئتهم الزراعية التجارية الجديدة ، وعلى توالى الزمن امتزجوا بالكنعانيين امتزاجا تاما

ظل اليهود مقيمين بفلسطين حتى قام بعض الآريين من أوربا الوسطى ، وكانوا شديدى البأس يعرفون صناعة الحديد . فاغاروا على كريت وغيرها « ١٦٥٧ ق. م » مما أدى الى اضطراب العالم الاسيوى فدفع ذلك بعض شعوبه نحو وادى النيل . وكان أغلب النازحين الى مصر الهكسوس واليهود . هذا وقد دفعت أيضا المجاعات التى كانت تحدث بفلسطين بين حين وآخر الى نزوح كثير من اليهود الى وادى النيل

أقام الاسرائيليون بمصر تحت حماية الهكسوس فلما طرد المصريون الهكسوس من مصر (١٦٢٠ — ١٥٧٣ ق. م) قاس الاسرائيليون كثيراً على يد الفراعنة وظلوا يسامون سوء العذاب حتى ظهر موسى فخرجوا برياسته من مصر فى عهد امينوفيس الثانى (١٤٤٧ — ١٤٢٠ ق. م)

وبعد عناء عظيم استقر الاسرائيليون بفلسطين ، وأصبحوا يكونون مملكة قوية (١٠٠٠ ق. م) تحت زعامة شاول وداود وسليمان وبنى الاخير المعبد الاسرائيلى العظيم بأورشليم ، ثم ضعف شأنهم فانقسموا قسمين ، مملكة اسرائيل فى الشمال ، ومملكة يهوذا فى الجنوب، فاضعفهم هذا الانقسام ومنذ ذلك الوقت اخذوا يشقون بين مصائب الفتح والأسر تحت غزوات البابليين والفرس وغيرهم حتى هدم هادريان سنة ٧٠ ميلادية أورشليم ومعبدها . ومنذ ذلك الوقت تفرق الاسرائيليون

وكانت ديانتهم الاصلية خليطا من الوثنية تشمل عدة أشكال من الآلهة وتعتمد كباقى الأديان على عبادة الأسلاف العائلية والعشيرية ، كان بعض الآلهة على شكل حيوانات والبعض يشبه قليلا أو كثيرا الانسان، ولكن الأغلبية كانت تعبد انصابا فى صورة أحجار وأشجار وصخور وطوطم خشبية مقدسة

ومعظم هذه الالهة سامية الشكل مألوفة لبنى اسرائيل وجيرانهم واقربائهم، وكانت عبادة الاسرائيليين فى أول الأمر تشبه عبادة قدماء المصريين والبابليين ، إلا أنها أخذت تتغير شيئا فشيئا فلما طردوا من مصر أدى ذلك الى تفضيل بعض الالهة على البعض الاخر . واختص الاسرائيليون أخيرا بيهوا أحد هذه الالهة واصبح اليهوه الجنسى

استمد اليهود عقيدتهم من مصر وبابل وظلوا مشتتين فلم يعرفوا الوحدة ، ولذلك استعاضوا عنها بجمع أخبار ملوكهم وانبيائهم وما وعوه من الآداب الدينية المصرية والبابلية ، فكانت هذه كلها مصدراً للتوراة الذى لم يكن له وجود قبل عودة الاسرائيليين من بابل (٥٣٩ ق. م) الى فلسطين وبناء معبدهم من جديد

ولما كان اليهود قبائل رحالة ، كثر انتقالها بين مصر وبابل ، واستمدوا عقيدتهم من هاتين المملكتين ، واضطروا الى ايجاد وسيلة لوحدتهم ، فتكون مع الزمن أدبهم الممثل فى التوراة والذى كان طريقا لاتحادهم وسبيلا لوجودهم السياسى ، لذلك كان التوراة هو الذى كون اليهود . لا اليهود هم الذين كونوه

كانت بالتوراة أفكار تختلف عن أفكار المعتقدين به . افكار ترمى الى القوة والمعونة . كتب على اليهود التعلق بها خلال قرون من الشدة والمجازفة والظلم . ولم يكن لليهود ملك أومعبد فلم تربطهم الا كلمات مدونة

وكان للثقافة المصرية أكبر نصيب فى تكييف ثقافة العبرانيين الممثلة فى التوراة والتى ابتدات تتكون منذ ان استقر يوسف بمصر فتزوج بنت بوتوفيرة رئيس كهنة هليو بوليس . ومن المعروف أن الجزء الأوفر من أدبيات المصريين الدينية نشأ فى هذه المدينة فاستطاع اليهود أن يستمدوا كثيرا من تعاليمهم من ديانة قدماء المصريين . فالعجل الذهبى الذى عبده اليهود باعتباره يمثل يهوا كان أصله عجل آبيس الذى كان يعبده المصريون . وفكرة الشيطان « سيت المصرى » هى فكرة مصرية لان الرب سيت كان عدو الرب « هورس » والظاهر أن العبرانيين أخذوا اللفظ بتحريف طفيف كما أخذوا المعنى . أما أغلب عقيدة اليهود . فقد استمدوها من عقيدة اخناتون الذى عاصروه . كان اخناتون أول من قال بان اتون هو الخالق والمنظم والحاكم للعالم أجمع لالمصر وحدها . ويشبه اتون اله العبرانيين شبها عجيبا . وكثير من عبارات التوراة وجدت فى اثار اخناتون أى صلواته معنى وحرفا

ويزعم ويجال أن اخناتون هو الذى كتب مزمور ١٠٤ فى التوراة . وهو فى مجمله ينطبق كل الانطباق على الفلسفة الدينية عند هذا الملك . ففى هذا المزمور كما فى رأى اخناتون ان الله محبه

ثم يزعم ويجال أيضا أن هذا الملك حرم صناعة التماثيل والتعبد لها

ويمكن رد كثير من الفكرات التى تضمنها التوراة الى أصولها المصرية القديمة . ولا يقتصر الامر على الفكرة فقط ولكن اسلوب التعبير عنها أيضا مأخوذ من قدماء المصريين . وحديثا اكتشف العلماء أن كتاب أمينيموب فى فلسفة الاخلاق هو الاصل الذى نقل عنه جزء كامل من سفر الامثال . وقد وجدوا أن النقل فى بعض الأحوال يكاد يكون حرفيا . كذلك اكتشف المسيو ليفر سنة ١٩٢٠ م . معبدا للاله توت فى منطقة هرموبوليس تحتوى نقوشه الهيروغليفية أمثالا لها شبه عجيب بأمثال سليمان الحكيم وهى تشبه من جهة أخرى امثال قاقمنه وفتاح وحتب رآنى

كذلك أثبت اليوت سميث أن قصة الطوفان المذكورة فى التوراة لها شبه بما وجد فى مقبرة سيتى الاول من نقوش تروي كيف هلك البشر ليعدوا أكسير الحياة للملك حتى يصل الى الخلود . وسبب هلاكهم هى خطاياهم وعصيانهم . اختلطت قصة ذبح البشر مع قصة فيضان النيل . وشبهوا احمرار مياه الفيضان بدماء القتلى . وانتشرت عناصر القصة الى البلاد الاجنبية ودخلها خلط ومزج . فاصبح هلاك البشر سببه فيضان الماء كما أن اثم العصيان الذى اهلك البشر أصبح المبدأ الذي يسميه اللاهوتيون « بالخطيئة الاصلية » وتظهر هذه الفكرة بشكل اخر فى سفر التكوين من التوراة

والسفينة المقدسة الجديدة التى ذكرها موسى ليست إلا نموذجا من السفن المصرية التى نجدها بالمقصورة التى كان يحفظ فيها تمثال الاله . فالسفن التى استعملها بنو اسرائيل للعبادة فى الصحراء هى تلك السفن المقدسة التى كانت تستعمل فى النيل عند قدماء المصريين

ومن الاشياء التى حرمها المصريون بدافع الدين . الخنزير فكان فى نظرهم نجسا وكان من قوانينهم الا يختلط رعاة الخنازير بالناس أو يتعاملوا معهم . وانتقلت هذه العقيدة الى الاسرائيليين فاعتبروا الخنزير حيوانا نجسا وحرموا أكل لحمه

كذلك استعمل اليهود التحنيط كما استعمله المصريون وقد ذكر التوراة أن يوسف حنط جثة ابيه يعقوب . وكان المصريون يحتقرون فئة المحنطين فقلدهم اليهود واعتبروا أن من يغسل ميتا يصبح نجسا سبعة أيام لا يصلى فيها

اذا انتقلنا من تعاليم الدين إلى أمكنة العبادة وجدنا أن معابد الاسرائيليين لم تختلف عن معابد المصريين ، فقد قسمت مثلها إلى ثلاثة أقسام المذبح والمحراب والمكان المقدس

وكانت بابل أيضا مصدرا لأكثر القصص الشعبية والروايات الدينية التى كان يتناقلها العبرانيون .

وقد وفق علماء الآثار حديثاً إلى اكتشاف كثير من الآثار التي تثبت الصلة القوية بين الآداب الدينية البابلية والعبرانية ، ومن أهم المكتشفات التي وجدت في بابل قصة الطوفان ، فقد وجدت بحذافيرها بين قصص البابليين ، وقد استبدل فيها اسم نوح باسم رجل آخر يدعى «أوت نابشتيم» وكذلك عثر العلماء على آثار صريحة فيها اشارات إلى حكاية آدم وحواء ، ومما استنتجوه أيضا أن البابليين كانوا يؤمنون بوجود الأرواح والملائكة والكروبيم والسرافيم وغير ذلك مما هو مثبت في الديانة العبرانية

كان استقرار اليهود بفلسطين في أول الأمر محفوفا بالاخطار فلم تنقطع الحروب بينهم وبين الفلسطينيين والكنعانيين حتى كونوا لهم من فتوحاتهم دولة مستقلة حكمها قضاتهم ثم نصبوا عليها أول ملوكهم شاؤول ثم خلفه داود وسليمان ، ثم توالى عدد من الملوك على اسرائيل أسهبت التوراة في وصف حكمهم وحروبهم ولكن قدر لبني اسرائيل ألا يعيشوا في سلام فانقضت عليهم مملكة بابل مرات أهمها عام ٥٧٦ ق . م ثم حينما غزاهم نبوخذ نصر وحاصر أورشليم وخرب هيكل سليمان ساق جموع اليهود أسرى إلى بلاده ولكن حدث في سنة ٥٣٨ ق . م أن غزا قورش ملك الفرس مملكة بابل واستولى عليها وسمح لليهود بالعودة إلى بلادهم

وفي عام ٣٣٢ ق . م استولى الاسكندر المقدوني على فلسطين وضمها إلى أمبراطوريته الواسعة . وفي سنة ١٣٨ ق . م داهم فلسطين ملك سوريا أنطيوخوس فخرب أورشليم وأهان اليهود في هيكلهم فثاروا وتمكنوا بعد أربع سنين من هزيمة الجيش السوري ولكن أحد ملوك سوريا عاد اليهم سنة ١٣٥ ق . م واستولى على أورشليم ثانية ثم جاءت فترة استقل فيها اليهود في حكم الأمراء المكابيين ورؤساء الكهنة ولكنهم لم يلبثوا أن حارب بعضهم بعضا فداهمهم الرومان في حكم بومباي عام ٦٣ ق . م وخربوا بلادهم وقتلوا منهم بضعة آلاف وجعلوا فلسطين مستعمرة رومانية

ومر بهم يوليوس قيصر في طريقه إلى مصر فنصب عليهم غتيباتر واليا على اليهودية وابنه هيرودس واليا على أرض الجليل فثار اليهود وقتلوا الأول ولكن سرعان ما أخمد الرومان ثورتهم ونصبوا هيرودس ملكا على اليهوديه وذلك عام ٣٧ ق . م وفي حكم هيرودس تمتعت فلسطين قليلا بالهدوء فأخذ يجدد هيكل سليمان وشيد الملاهي والقصور والأبراج حتى لقب بهيرودس العظيم ، وفي السنة الثالثة والثلاثين من ملكه ولد السيد المسيح في بيت لحم

ولما مات هيرودوس خلفه ابنه أرخيلاوس ولكن الرومان خلعوه ونصبوا مكانه بيلاطس البنطي حاكما على اليهود

بقى بنو اسرائيل فى أثناء حكم الرومان متذمرين من الاستعمار طالبين بالاستقلال إلى أن ثاروا فأرسل اليهم نيرون قائده فسباسيان فحاصرهم . ولكن موت نيرون اضطره إلى العودة إلى روما ليرتقى العرش ثم أرسل اليهم ابنه تيتوس فحاصر أورشليم حتى حلت بهم مجاعة رهيبة ثم دخلها الرومان سنة ٧٠ فأمعنوا فيها قتلا وتدميرا ثم أشعلوا فيها النار حتى خربت وتشتت اليهود فى أنحاء الأرض

ظلت فلسطين مستعمرة رومانية سبعة قرون رأى فيها بنوا اسرائيل من الويلات والذل ألوانا ، إلى أن تشتت شملهم . وفى حكم هادريان شيدت أورشليم من جديد كمدينة مسيحية وهاجر اليها جموع المسيحيين

والواقع أن الوجود الحقيقى للديانة اليهودية ابتدأ بعد النفى البابلى « ٤٤٤ ق ، م » وزاده قوة بالنفى الرومانى فى خلال القرون الاولى من المسيحية

ذهبت قومية اليهود المكانية (Territorial nationality) حوالى سنة ١٣٥ ميلادية عند ما فشلت ثورتهم ضد الرومان فأعمال هوريان منجله فى يهود أورشليم . وقامت عند ذلك على أثر خراب أورشليم مدينة جديدة هى Aelia Capitolina ولكن هذا الاسم لا يعرفه إلا الأرخولوجيون

أنكر أمبراطرة الرومان على اليهود الحق فى دخول أورشليم ، فأكمل بذلك هوريان عمل تيتسى وطردت اليهودية من موطنها . ومنذ ذلك الوقت أسدل الستار على وطن الاسرائيليين ولم تقم لهم بعدها قائمة . فأصبحت اليهودية دين جماعة لا دين دولة فكون اليهود لأول مرة كنيسة لا مكان لها

ولما صارت المسيحية ديانة الدولة الرومانية الرسمية فى حكم الأمبراطور قسطنطين سنة ٣٣٠ بدأوا يشيدون الكنائس ولكن لم يلبث أن جاء الامبراطور يوليان وكان يكره المسيحيين فسمح لليهود بالعودة الى بلادهم وبناء هيكلهم فعاد بعضهم ولم يتمموا الهيكل

وفى عام ٤١٦ غزا الفرس أورشليم وخربوا الكنائس ونهبوا نفائسها وذبحوا عشرات الألوف من النصارى فعاد الرومان فى عام ٦٢٨ وهزموا الفرس وأسروا مليكهم

وفى سنة ٦٣٦ زحف العرب على فلسطين ، وهزموا الروم فى موقعة أجنادين ، وحاصروا ورشليم أربعة شهور . ثم حضر عمر بن الخطاب فتسلم المدينة وشيد مسجده